مقال مراجعة موضوع

قراءة في كتاب وهم المرجع في المتخيل السردي (عبد علي حسن)

م.د. مرتضى حسين علي

المديرية العامة لتربية بابل – وزارة التربية

الكلمات المفتاحية: المتخيل السردي. الرواية الجديدة. الفضاء السردي. شعرية السرد.

الملخص:

يكشف الباحث في كتابه (وهم المرجع في المتخيل السردي) عن التعالق الوثيق بين الفنون والواقع الذي تستقي منه كل الفنون والآداب موضوعاتها، وما يفرزه حراكه التاريخي والاجتماعي والسياسي في صيرورة المنجز الأدبي والفني، حيث يتم تقديم رؤية فنية جمالية عبر تخليق واقع افتراضي محتمل الوقوع يضاهي العالم الواقعي ومتخذا من الاتجاهات الأدبية سواء أكانت غرائبية أم عجائبية أم سريالية مظاهر تخييلية تتجاوز الواقع إلى مناطق أكثر ايغالا لإثارة مخيلة المتلقي. وقد ركز الباحث على منحى خطير في بنائية النص السردي العراقي المعاصر (رواية-قصة قصيرة- قصة قصيرة جدا) في التماهي مع اغواءات مخرجات الواقع العراقي المتسم بالتسارع وديناميكية الأحداث لاسيما بعد عام 2003م، فهو يشير إلى أن العديد من الكتاب استطاعوا تصوير الواقع بأسلوب إبداعي دون أن يقعوا في تقريرية الوصف وسطحيته، حيث تمكن بعضهم من اعادة انتاج الواقع بعيدا عن المباشرة والتوثيقية عند تقديمهم تقديم لنصوص سردية تتسم بالعمق والتأثير المعرفي والجمالي.

سعى الباحث (عبد علي حسن) في التمهيد لكتابه(وهم المرجع في المتخيل السردي) على ايضاح جملة من المفاهيم السردية التي تتطلب من القارئ الالمام بها عبر تفعيل اركان السرد من مكان، وزمان، وأحداث، وشخصيات تضمن المحافظة على الشروط الأجناسية للسرد ووجودها كركائز يقوم عليها السرد، فضلا عن الكيفية التي يتم عبرها السرد في تجاوز المألوف عند دخوله في تقنية الغرائبي والعجائبي، والفنتازي، والسحري في تمثيل الواقع الفني الذي يعد إيهاما بالواقع الفعلي، والنص بهذه العلاقة مع الواقع إنما هو ابداع لعالم، تشبه بنيته البنية

الجوهرية للواقع الاجتماعي. وهذا ما أشارإليه (فخري صالح) في كتابه(في الرواية العربية الجديدة) حول تقنيات الرواية بقوله:" ومن نزعة اللايقين هذه التي تشدد عليها الرواية العربية الجديدة تنهض التطورات الشكلية التي تقوم على تشكيل سرد متشكك يعرض العالم أمام اعيننا بغموضه وهلاميته وعدم ترابطه"، حيث يمثل التعالق بين النص السردي والمرجع نصوصا سردية تحمل التجارب والخبرات العملية والمعرفية التي اكتسبها الكاتب، فالسرد لا يستنسخ تلك المرجعيات بقدر تمثيلها في واقعه التجريبي لينتج نصا مغايرا عن الواقع بصيغة فنية جمالية تشكل متخيله السردي.

عقد الفصل الأول بعنوان(ارتدادات المرجع في الرواية العراقية)، وقد سلط الضوء على التحول البنيوي في المجتمع العراقي لاسيما بعد 2003م، عندما تفاعل عدد كبير من الروائيين مع الحراك السياسي والاجتماعي معبرين عن واقعهم بمجموعة من الموضوعات منها: الصراع السياسي، والنزاع الطائفي، والموضوعات الاجتماعية والاقتصادية، والتي غالبا ما كانت "تدور في فلك الواقع الاجتماعي ومشاكله وصراعاته التي ارتبطت ارتباطا وثيقا بالعامل الفكري والسياسي والاقتصادي والديني مما جعل الكاتب والقاص العراقي يخضع هذه العوامل للمعالجة في نتاجاته، كاشفا عن صور الواقع الاجتماعي بمستويات متنوعة ومتباينة قدمت جزءا من مشاهد واقعية للحياة والواقع"، فبدأ الروائيون يصورون تلك الوقائع بطريقتين: الأولى تصوير مجريات الواقع بالاعتماد على العلل والمسببات ، والثانية في استعمال تقنيات سردية تمثلت في تشكيل آليات سرد ما بعد الحداثة بغية خلق وعي قرائي يعالج مشكلات الواقع وإثارة المتلقي للمساهمة في وضع الاجابة عنها تأويلا، وهو ما ترمي إليه الرواية الحديثة في اغناء ذائقة ومرجعية المتلقي جماليا ومعرفيا.

وتمثل عمله في الفصل الأول بمجموعة من الروايات التي تناولت المخيال في رواية الشتات العراقية، فقد أشار إلى أن المخيال "هو الذي يرفع السرد إلى درجة اعتباره عمدا من اعمدة نظرية المعرفة، فهو الهوية غير المرئية للفرد والمجتمع، هنالك صلة ما تبدي من خلال تلك الاستعادة التي تمنح الراوي هويته"، لذا فإن العديد من الروائيين العراقيين المهاجرين كتبوا رواياتهم في بلد الشتات مؤكدين انتمائهم إلى المكان الأول بغية التمسك بالهوية الأم، حيث تعالقت رواياتهم مع ذاكرة الوطن

وتأكيد قدرتهم في انتاج مخيال فني يؤكد انتمائهم للمكان الأول. ومما يشار للباحث في كشفه عن دور المتخيل السردي في الدراسة النفسية للنص الأدبي وتأثيره على الابداع الفني في تولد الاحساس بعدم التمايز بين ما هو مألوف وغير مألوف، بين الغربة والاغتراب والبعد عن المألوف وهو ما سعت إليه دراسات ما بعد الحداثة في تقديم سبر أغوار النفس الانسانية وعلاقتها بالواقع المعيش، ذلك لأن الدراسة النفسية للنص الأدبي"تقدم وجهة نظر واقع الانسان ووسطه" في تصوير التجربة الانسانية عبر اللاوعي الفردي والجمعي التي ارسى قواعدها (فرويد) و(يونغ)، وارتباطها بإحساس الشخصية وتجربتها الواقعية التي أشار إليها الباحث تحت مسمى(المرجع). ففي رواية (الحفيدة الأمريكية) للروائية (انعام كه ججي) أشار الباحث إلى دور المخيال الراكز في اللاوعي الفردي لبطلة الرواية(زينة) في انبهارها بالواقع المعيش في امريكا، مقارنة بجدتها التي تمثل اللاوعي الجمعي المتمسك بالأرض الرافض لأشكال الاحتلال الاستعماري في صورة تعزيز الهوية الوطنية. وفي رواية(وحدها شجرة الرمان) للروائي(سنان أنطون) قدّم الباحث دراسته عن الرواية في تصوير الواقع العراقي المعيش بعد 2003م، ومما يؤخذ على الباحث تصويره كيفية استعادة الروائي هويته الوطنية المفقودة بعد اغترابه في "توفير امكانية منح هذا المخيال هوية استعادها الكاتب بعد أن فقدها في مغتربه منذ هجرته من العراق" وهذه الصورة التي مثلها الباحث قد لا تكون دقيقة إذ تحمل الرواية صورة أخرى تخالف تصور الباحث في استعاده الهوية الضائعة كونها تمثل منعطفا كابوسيا يمثل الواقع المعيش في العراق بعد عام 2003م في صورة غرائبية وأجواء كابوسية يختلط فيها المتخيل بالواقع ليمثل جميع عناصر المجتمع العراقي، فشجرة الرمان التي انبتت في المقبرة على دماء القتلى تعد معادلا موضوعيا لاغتراب شخصية البطل(جواد كاظم) الفنان الذي رفض أن يعمل في مهنة أبيه (مغسل الموتى)، وهذا ما يؤكد اغتراب الشخصية في تصوير واقعها المعيش.

جاء الفصل الثاني بعنوان(الخطاب الإفصاحي في القصة القصيرة جدا) حيث تمثل في علاقة القصة القصيرة بالواقع وما يمثله من حراك اجتماعي وسياسي واقتصادي، حيث كانت تجربتها "بسيطة وواقعية وساذجة تفتقر إلى الكثير من مقومات السرد وآلياته المتطورة حتى ستينات القرن الماضي". بعدها تطور مفهومها فبدأ التجريب القصصي الذي انطلق من ردم الهوة بين مستويات القصة السابقة،

وتجاوزها بأساليب وآليات جديدة تمكن من تمثيل المشهد الثقافي بأسلوب معرفي وجمالي، فضلا عن حاجة المتلقي إلى خطاب ثقافي يواكب روح العصر المتسم بالتحولات الفكرية التي تعكس حراك الواقع السياسي والاجتماعي والثقافي في العراق. ويشير الباحث إلى أن القصة القصيرة في العراق بعد أحداث 2003م شهدت تراجعا أمام الرواية؛ بسبب تفاقم حاجة المتلقي إلى سعة في التعبير عما يجري في الواقع العراقي من تضادات دينية وسياسية وقومية، فضلا عن الطبيعة الأجناسية التي لم توفر مساحة كافية تتناسب ومساحة الخطاب في الواقع الذي تمثله الرواية.

وعلى الرغم من شيوع الرواية في هذه الفترة إلا أننا نجد أن عددا من الروائيين مازالوا يخوضون مضمار القصة القصيرة ومنهم (جاسم عاصي، شوقي كريم حسن، لؤي حمزة عباس، محمد علوان جبر، حميد الربيعي، وارد بدر سالم، خضير فليح الزيدي ، وغيرهم)، ذلك لأن ليس للقصة شكلا ثابتا، وليس هنالك نموذجا أعلى يصعب تجاوزه أو المساس بمكوناته.

وقد تطرق الباحث في هذا الفصل موضوع التناص وتأويل الواقع في (حديقة الأرامل) وهي مجموعة قصصية لـ(ضياء جبيلي) يكشف فيها عن تقنية الغرائبي والعجائبي في تمثيل الواقع المتخيل ، فضلا عن التناص المباشر للمجموعة القصصية مع رواية(البحث عن الزمن المفقود) لمارسيل بروست، ورواية (زوربا) لنيكوس كانتزاكي، ورواية (مائة عام من العزلة) لماركيز، وقصة (الشيخ والبحر) لهمنغواي في إشارة عابرة لها دون أن يرفدها بنصوص متقاربة توضح علاقة التناص الحاصل فيها، ثم ينتقل إلى دراسة قصص (جابر خليفة جابر) عن قصصه(جيم جديد) الذي اتخذ من الرسائل والحكاية مبنى سرديا استدعى فيه شخصيات تاريخية وأخرى روائية معروفة وكذلك في استدعاء الشخصيات الشعبية التي حاول عبرها المزج بين الماضي والحاضر لتتخذ من السرد ذريعة معرفية تضع المتلقي في منطقة الحوار والتأمل دون أن يقع في الايهام أو تقمص إحدى شخصيات النص. ثم ينتقل إلى دراسة عن الغرائبي وفسحة التأويل في المجموعة القصصية (واسألهم عن القرية) للقاص (انمار رحمة الله) الذي جعل من القرية مكانا لأغلب قصصه مشيرا إلى "الحكاية الغرائبية وفق تأويله وتحليله للواقع"، مستنتجا أن القرية لم تعد المكان البدائي الخالص للجمال، والخالي من تشوهات المدينة وانحرافات ساكنيها. ثم ينتقل الباحث إلى دراسة وتحليل جاهزية

الرمز والإحالة في مجموعة (كتاب الحياة) للقاص(عبد الأمير المجر) في محاولته الكشف عن الرمز الذي يماثل الحدث الواقعي للوضع السياسي والاجتماعي العراقي وفق خاصية التخيل موضحا أن تلك القصص " اعتمدت بناء رموز بسيطة جاهزة"، حيث وصفها بأنها يمكن التوصل إلى فك شفراتها السردية بدون عناء، فقد اكتفت بدورها التوصيلي للمضامين دون الاهتمام باللغة في تعزيز طاقتها التعبيرية. ويدرس الباحث المجموعة القصصية للقاصة(رغد السهيل) (كلكوش وتمثلات الأنثى الساردة) في تأكيد السمات الأنثوية للنصوص التي تجاوزت عبرها الدور الشكلي والسطحي الذي وضعه الرجل وحاول تكريسه دينيا وفكريا بقوله: "يحاول النص الكشف عن هموم النسوة في مثل هذه المجتمعات التي تنخر في جسدها ممارسات الجهل الديني والاجتماعي على حد سواء"، أما عن داسته للإفصاح السردي والتمثل الافتراضي في مجموعة (بيت جني) للروائي والقاص(حميد الربيعي) فإنه يشير إلى تقنية الغرائبي محاوله لإتقان لعبة الإيهام ومد الجسور بين النص والمتلقي، فهو يشير إلى أن "بنائية الحضور الواقعي تمسك بالمتلقي ليبقى في أرض الواقع فيما يبعده التمثل الافتراضي الغرائبي إلى باطن الواقع". وينتقل الباحث إلى دراسة انفتاح النص القصصي في مجموعة (مصاطب الآلهة) للقاص (محمود جنداري)في خوضه لآليات التجريب السردي في منطقة اشتغال جديدة حيث خرقت مجموعته القصصية "التتابع الكرونولجي التقليدي-تسلسل الحدث الزمني-صراع الشخصيات في تتاليها الزمني باتجاه ربط النص –في تسلسله-بمستويات متعددة من التفسيرات عن طريق استخدام انساق تشفيرية واستعارية من خلال تفتيت وحدات الزمكان وتداخلها"(، لاسيما في استدعاءه شخصيات وأمكنة اسطورية وأخرى معاصرة في حقب زمنية مختلفة محاولة بث الحياة في جسد تلك الأماكن واثارة المتخيل الجمعي والفردي لإثراء الحاضر متجاوزا المألوف والطبيعي في استثمار طاقة اللغة واستيعابها تلك التحولات في مستواها الفني والجمالي.

قدَّم الباحث الفصل الثالث بعنوان(القصة القصيرة جدا وحداثة التجربة) مستعرضا تحولاتها من الريادة التاريخية إلى الريادة الفنية من العقدين الستيني والسبعيني إلى ما بعد 2003م؛ "تبعا لحركة النشر المتسعة والتمدد في وسائل الاتصال الحديثة كالميديا والانترنيت وظهور مجموعات الكترونية متعددة تهتم بها

وإقامة الجوائز والملتقيات الخاصة بها"، فقد مهد دراسته حول قضية (الريادة التراتبية)التي كانت من القضايا الخلافية بين الباحثين والكتاب على حد سواء مشيرا إلى الريادات التاريخية التي تحتكم إلى التجريب اللاقصدي وفق مبدأ (القصدية والتكرار والتجاوز) واطلاع الكتاب على الحكايات والنوادر والطرائف والأخبار التي تضمنها السرد العربي القديم فضلا عن الدراسات المترجمة التي أفادتهم في تصور مفهومها ومنها كتاب (انفعالات) لـ(ناتالي ساروت) عام 1971م، فكانت تلك الكتب بمثابة المدخل الذي يفصل بين الماضي المتمثل بالتراث السردي وبين القصة القصيرة جدا بمفهومها الحديث، ليصل إلى الريادة التاريخية لـ(نوئيل رسام، وعبد المجيد لطفي)التي مهدت السبيل إلى القاص(خالد حبيب الراوي) فيكون رائدها في تجاوزه لتجارب الذين سبقوه ومستفيدا من القصص المترجمة في معرفة أصولها وقواعدها التي عرفت كنوع سردي يضاف إلى المشهد السردي الموازي للرواية والقصة القصيرة. وهنالك دراسة للكاتب (هيثم بهنام بردى) في كتابه(القصة القصيرة الريادة العراقية) توضح مسألة الريادة في القصة القصيرة بقوله:" والعراق يعد بحق الحاضن والرائد لهذا الجنس الأدبي فنيا وتاريخيا من خلال الرائدين رسام ولطفي"

ثم ينتقل الباحث إلى تحليل مجموعة من القصص القصيرة جدا وفق موضوعات مختلفة منها: مستويات الأنسنة في مجموعة (السنونو)للقاص والروائي (حنون مجيد) في أنسنة الأشياء والحيوات والمفاهيم المجرة وتعالقها مع بعضها، وتراجيديا الأنقاض في مجموعة (سندباب) للقاص والشاعر(أحمد جار الله) الذي تعرض فيها إلى خراب مدينة نينوى، واشكالية المبنى التجنيسي في (روشيرو) للقاص حسين رشيد في مجموعته القصصية الأولى للكشف عن أثر التحولات الاجتماعية في العراق، والتشكيل الأجناسي في (أوسمة) للقاص(رسمي رحومي) التي سلط فيها الضوء على العلاقة بين البناء السردي والمتخيل الشعري، وكذلك في دراسة (القص وامكانيات التأويل) في توسيع أفق مساهمة المتلقي في تشكيل نص المنتج للوصول إلى المضمر والمسكوت عنه في البناء الظاهر للنص. وختمت الدراسة بموضوع (العنونة ورؤية النص) الذي أشار إلى أهمية العنوان في حمله لدلالات لغوية تشغل تبادل المواقع بين الدال والمدلول مؤكدا علاقة تبادل المواقع بين العنوان والمتن القصصي.

المراجع:

1- اسقاطات الحرب وتداعياتها في القصة العراقية بعد 2003م، د. جاسم حسين الخالدي، المؤتمر العلمي الدولي الحادي عشر، مجلة كلية التربية، جامعة واسط، 2019م.
2- التحليل النفسي والأدب، جان بيلمان نوبل، ترجمة: حسن المودن، المجلس الأعلى للثقافة، 1997م.
3- الحقيقي والمتخيل في الرواية العراقية، د. كرنفال أيوب محسن، دار الفراهيدي للنشر والتوزيع، بغداد، 2012م.
4- الغرائبية في الرواية العراقية من 2003-2017م، مرتضى حسين علي، اطروحة دكتوراه، جامعة كربلاء، كلية التربية للعلوم الانسانية، 2019م.
5- القصة القصيرة جدا الريادة العراقية، هيثم بهنام بردى، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2016
6- في الرواية العربية الجديدة، فخري صالح، الدار العربية للعلوم، بيروت، 2009م.
7- وهم المرجع في المتخيل السردي، عبد علي حسن، منشورات الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق، بغداد، 2002م.

Review Article

"Illusion of Reality in Narrative Imagination " by Abd Ali Hasan.

Dr. Murtadha Hussein Ali

General Directorate of Education, Babylon

Ministry of Education

Rly653818@gmail.com

Keywords: narrative imaginary, new novel, narrative space, narrative poetry.

Summary:

The researcher reveals in his book (The Illusion of Reference in the Narrative Imaginary) the close connection between the arts and the reality from which all arts and literature derive their subjects, and what emerges from its historical, social and political movement in the process of literary and artistic achievement, where an aesthetic artistic vision is presented through the creation of a virtual reality that is likely to occur comparable to the real world and taking literary trends, whether exotic, miraculous or surreal, imaginary manifestations that go beyond reality to more expensive areas to arouse the imagination of the recipient. The researcher has focused On a dangerous trend in the construction of the contemporary Iraqi narrative text (novel - short story - very short story) in identifying with the temptations of the outputs of the Iraqi reality characterized by acceleration and dynamism of events, especially after 2003, it indicates that many writers were able to portray reality in a creative manner without falling into the report of the description and its superficiality, as some of them were able to reproduce reality away from direct and documentary when they presented narrative texts characterized by depth and cognitive and aesthetic impact.